الفصل فى نبوة المتنبى

من شعره

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

— ١ —

يعتمد الباحثون فى نبوة المتنبى على تلك الأخبار المتناقضة فى أمر نبوته ، فيذهبون فيها مذهبين متناقضين : فريق يجزم بوقوع هذه الدعوى منه ، وفريق يجزم بأنها من اختراع أعدائه ؛ وكل فريق يتعصب للأخبار التى تؤيد مذهبه ، ويجزم بصحتها كل الجزم ، ويطعن فى صحة الأخبار التى لا توافق مذهبه ، وتؤيد مذهب الفريق الآخر ، وقد ضاع الحق فى ذلك بين التعصب للمتنبى والتعصب عليه ، ولم تنهض فيه حجة واضحة تقطع بالحق من ذينك المذهبين ، وتقضى على هذا الخلاف الذى لم ينته الى الآن

ولا خلاف بين الفريقين فى إطلاق لقب المتنبى على أبى الطيب ، وإنما الخلاف فى أنه أطلق عليه لادعائه النبوة فى حداثته ، أو لقوله :

أنا تِرب الندى ورب القوافى وسِمام العدى وغيظ الحسُود
أنا فى أمةٍ تداركها الله غريب كصالح فى ثمود
ما مُقامى بأرض نخْلة إلا كمقام المسيح بين اليهود

هذا هو ما حكاه أبو الفتح عثمان بن جنى عن أبى الطيب نفسه ؛ وأما الأول فحكاه أبو عبد الله معاذ بن اسماعيل اللاذقى قال : قدم أبو الطيب المتنبى اللاذقية فى سنة نيف وعشرين وثلثمائة وهو لا عذار له ، وله وفرة الى شحمتى أذنيه فأكرمته وعظمته لما رأيت من فصاحته وحسن سمته ، فلما تمكن الأنس بينى وبينه وخلوت معه فى المنزل اغتناماً لمشاهدته ، واقتباساً من أدبه ، قلت : والله إنك لشاب خطير تصلح لمخادمة ملك كبير ، فقال : ويحك أتدرى ما تقول ؟ أنا نبى مرسل ، فظننت أنه يهزل ، ثم تذكرت أنى لم أسمع منه كلمة هزل قط منذ عرفته فقلت له ما تقول ؟ فقال أنا نبى مرسل ، فقلت له : إلى من مرسل ؟ فقال الى هذه الأمة الضالة المضلة . قلت تفعل ماذا ؟ قال : أملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً . قلت بماذا ؟ قال : بادرار الأرزاق ، والثواب العاجل لمن أطاع وأتى ، وضرب الرقاب لمن عصى وأبى . فقلت له : إن هذا أمر عظيم أخاف عليك منه ، وعذلته على ذلك ، فقال بديهة :

أبا عبد الاله مُعاذ إنى خفىٌّ عنك فى الهيجا مقامى
ذكرتَ جسيم مطّلبى وأنى أخاطر فيه بالنُهج الجسام
أمثلى تأخذ النكباتُ منه ويجزع من ملاقاة الحمام
ولو برز الزمان الى شخصاً لخضّب شعر مفرقه حُسامى
وما بلغت مشيئتها الليالى ولا سارتْ وفى يدها زمامى
إذا امتلأت عيون الخيل منى فويل فى التيقظ والمنام

ثم ذكر بعد هذا أنه لم يزل معه حتى قال له : ابسط يدك أشهد أنك رسول الله ، قال : فبسط يده فبايعته بيعة الاقرار بنبوته ، ثم قال :

أىَّ محلٍّ أرتقى أىَّ عظيم أتقى
وكلُّ ما قد خلق الله وما لم يخلق
محتقر فى همتى كشعرة فى مفرقى

وقد يكون هذ الذى ذكره أبو عبد الله معاذ بن اسماعيل اللاذقى صحيحاً ، ولم يكن المتنبى إذا صح أنه ادعى النبوة أول من ادعاها فى الاسلام ، فقد ادعاها قبله وبعده خلق كثير ، وقد يكون هذا غير صحيح ؛ وربما يؤيد هذا أن الأبيات الأولى رويت فى ديوانه على أنه قالها وقد عزله معاذ فى إقدامه فى الحرب ، وأن الأبيات الثانية لا تتفق مع دعواه النبوة ، وكثير من الناس يتخذها دليلاً على إلحاده

وقد يكون ما رواه ابن جنى هو الصحيح ، وله شواهد كثيرة فى الأدب العربى ، ومن هذا أن شاس بن نهار من شعراء الجاهلية لقب بالمزق لقوله :

فان كنت مأكولاً فكن أنت آكلاً
وإلا فأدركنى ولما أُمزَّق

وأن محصن بن ثعلبة وهو شاعر جاهلى أيضاً لقب بالثقب لقوله :

رددْن تحيةً وكَنَنَّ أخرى وثقبن الوَصاوِصَ للعيون

وأن خداش بن بشر المجاشعى وهو شاعر إسلامى لقب بالبعيث لقوله :

تبعث منى ما تبعثُ بعد ما (م) استمر فؤادى واستعر عزيمى

ومن ذلك أن جران العود العبدى سمى بهذا لقوله :